المبحث التاسع عشر

بين الهندسة الوراثية والقرآن الكريم

« لماذا يصر الإنسان على تغيير جينومه واللعب فى خريطته الوراثية، والابدال والحذف والاضافة، لماذا.....كانت الإجابة على ذلك فى الاية (١١٩) من سورة النساء».

د: ميشيل المحمدى باحث بيولوجى
وصاحب دراسات عديدة فى مجال
الاعجاز العلمى للنص القرآنى

إذا كان علم الهندسة الوراثية يمثل الأمل لكثير من المرضى الذين يعانون من الأمراض الوراثية، فضلاً عن دوره الرائد فى تحسين الصفات الوراثية الحيوانية والنباتية، إلاَّ أن هذا التقدم المذهل فى هذا العلم لم يخل من السلبيات العديدة، ومن أخطر هذه السلبيات أنَّه أتاح للكثيرٍ من المتحررين عقائدياً المناداة بأحقية الباحثين الوراثيين فى اجراء كل مايدور فى عقولهم من عمليات خلط للجينات على المستويات الحياتية المختلفة بغرض وبدون غرض، وتعبير أدق لإنتاج إنسان وفق الهوى، وقد استجاب بعض باحثى الهندسة الوراثية لهذه الدعوات ذات الاغراض السيئة ، بل وأكدّوا على مقدرتهم عن طريق اللعب بالجينات على انتاج مسخاً بشرية... حقاً إنها طامة كبرى، أن يسخَّر علم وفق ماتهواه الأنفس!

إننى فى كتابى هذا لأوجَّه سؤالى لأولئك الباحثين الذين أضاعوا أوقاتهم سدى، وسخروا معاملهم لتشويه مستقبل البشرية .. أقول لهم:

ماهو هدفكم من اجراء هذه التجارب؟

لاثبات قدرتكم!

قدرتكم لمن، وأية قدرة تلك التى تتحدثون عنها؟

لقد كان الاجدى بكم إذا كنتم تبحثون عن إثبات ذواتكم أن تعملوا على إيجاد سيطرة جينية على فيروس نقص المناعة المكتسبة(الايدز).

لو فعلتم ذلك لظلت البشربة تفخربكم ماحييت.

وماذا ستستفيدون من إنتاج مسخ بشرية؟!

إننى برغم حزنى الشديد لتوجيه مثل طاقة هؤلاء العلماء فى أشياء غير مجدية، إلاَّ أننى ظللت فترة ليست بالقصيرة آمل فى أن يفيقوا، وأن يتجهوا بأبحاثهم الى أمراض الإنسان المستعصية محاولين علاجها باستخدام تكنولوجيا الجينات، وفى ذات مرة وأنا أتصفح سورة النساء الآية (١١٩)، وجدت نفسى أمام هذا الأعجاز الواضح البَّين ، وجدتنى فى حديث إبليس مع خالقه بعدما طرده من رحمة لعدم سجوده لأدم- عليه السلام ـ حيث يقول إبليس كما سجَّل القرآن الكريم.

﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾.

سبحان الله! إنها العظمة المحتواه فى اللفظ القرآنى المعجز، لقد سبحت بعقلى فى هذا البحر العجيب، بحر القرآن الكريم متمتماً بكلمات كثيرة كان أكثرها ذكراً.

سبحان الله.

حقاً صدق الله تعالى إذ يقول.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾

لقد أكد إبليس بعد طرده من رحمة الله على إصراره أن يجعل أبناء آدم يغيرون فى خلق الله، وقد سجل القرآن الكريم هذا الخطاب الذى دار بين الحق الأعلى وبين إبليس ليكون تحذيرا من شر إبليس ، واعجازاً علمياً للقرآن الكريم، ولو تأملنا الآية الكريمة سنجد أنَّ إبليس إستخدم فعل دالَّ على أمر غير قابل للجدال « ولآمرنهم» ثم كان جواب الشرط لذلك مقروناً بفاء السرعة « فليغيرن»، وقد دخلت الفاء على فعل أُكدَّ بالنون، إذن فكلام إبليس بالنسبة لهم- الآدميين- أمر لابد من تنفيذه، وهنا تبرز قمة الكيد والعداء من ابليس لأبناء آدم، ولو تأملنا القرآن الكريم جيداً سنجد أن هذا هو جانب العداء الوحيد الذى استخدم فيه إبليس صيغة الأمر مع أبناء آدم، لأن التغيير فى خلق الله معناه هدم النواميس الالهية، ومن ثمَّ فساد الحياة وانتشار الفوضى، وهذا يمثل قمة الأمل عند إبليس وجنوده.

لقد كان الكثيرون يعتقدون فى الماضى أن استخدام المرأة ذات الشعر الخفيف على الرأس لشعر مستعار يمثل تغيير لخلق الله، وأنَّ استخدام الإنسان الذى يعانى من نقص فى أداء وظيفة معينة لعضو معين لجهاز مساعد (تعويضى) يمثل تغييراً فى خلق الله، وإن كان هذا يمثل من وجهة نظرى قصوراً فى فهم حقيقة القرآن، تلك الحقيقة التى تتعامل مع جوهر الاشياء، فالتغيير الذى أشار إليه القرآن فى الآية القرآنية (١١٩) من سورة النساء هو عمليات تغيير فى وسائل تنظيم هذا الكائنات الحية، ومن ثمَّ يقود هذا التغيير الى إحداث فوضى فى النظام الحياتى مما يؤدى فى النهاية إلى دماره وفنائه، وهذا هو هدف إبليس من إصراره على الوسوسة للإنسان لاحداث هذا التغيير.

لقد بدأ الإنسان مع التقدم المذهل لتكنولوجيا الهندسة الوراثية يتدخل فى الخرائط الجينية للأطقم الجينية لمختلف الكائنات الحية، وتمثل عمليات التدخل تلك عمليات إيلاج جين يؤدى وظيفة معينة من كائن حى إلى كائن حى آخر حتى يؤدى نفس الوظيفة، ومثال ذلك ايلاج جين من سمكة تعيش فى المحيط الشمالى المتجمد إلى نبات فول الصويا لانتاج سلالة من هذا النبات تتحمل البرد القارص، وربما يكشف المستقبل من خلال تجارب الهندسة الوراثية عن انتاج نباتات مقاومة للجفاف، ولها القدرة على تحمل درجات الحرارة العالية.

من التجارب الأخرى لهندسة الجينات دمج خلايا الأنواع المختلفة، عن طريق دمج الطاقم الوراثى لكل منهما بهدف انتاج كائن حى يحمل صفات الكائنين معاً، ومثال ذلك عمليات الدمج بين الأطقم الوراثية لنباتى البطاطس والطماطم لانتاج مايسمى بالبطاطم الذى يحمل جينات البطاطس والطماطم، وعمليات الدمج بين الأطقم الوراثية لحيوان الغنم والماعز لانتاج حيوان جديد يحمل جينات الاثنين، وهو مايسمى بالعنم.

كل هذه التجارب تخدم الإنسان وتيسر له وسائل أفضل للحياة، ومن ثمَّ لاشىء فيها يجعلها حراماً، لكن الخطورة أن تمتد يد الإنسان الى اللعب فى الجينات البشرية.

وهذا ما حدث، فقد استطاع بعض الباحثين بواسطة البيوتكنولوجيا الحيوية من تلقيح بويضة شمبانزى بحيوان منوى بشرى، وقد تمَّ إخصاب البويضة، ونما جنينها، لكنه مات بعد فترة.

إنَّ كثيراً من العلماء المتحررين عقائدياً ينادون بانتاج مسخاً وليس بشراً من خلال هذه التجارب، وذلك لأداء الأعمال الثقيلة، والتى يترفع الإنسان عن فعلها.

تجربة أخرى يحاول إجرائها باحثوا الهندسة الوراثية، وهى نقل جين منتج للبروتينات شديدة السمية إلى بعض بكتريا إيشيرشيا كولاى، ممايسارع بزيادة أعداد هذه الجينات، ثم تستخدم هذه الجينات لتدمير ذلك الإنسان.. دمار يقترن بمرارة العذاب، وهو أشبه بموت بطىء لزيادة معاناة الإنسان بدلاً من تقليلً معاناته، كما أنَّ أنَّ انشاء بنوك الأمشاج المجمدة لهو من الخطورة بمكان، فبواسطة النيتروجين السائل

المبرد يمكن حفظ هذه الامشاج لفترات زمنية قد تصل إلى عشرين عاماً، ويمكن زيادتها ثم يجرى التلقيح لهذه الأمشاج بعد ذلك ، ومن ثم من الممكن حدوث تلاعب بهذه الامشاج البشرية، بل من الممكن إحداث هذا التلقيح بين أمشاج بشرية وأمشاج غير بشرية لانتاج مسخاً وليس بشراً.

إنَّ مايحدث من عمليات لعب وخلط فى الامشاج يحدث على مستوى الجينات من خلال مايسمى ببنوك الجينات، حيث يتم حفظ هذه الجينات لاستخدامها فى عمليات تهجينية تعرف بالدنا المطعَّم لانتاج مادة وراثية مخلَّطة، بعض جيناتها بشرية.

والبعض الآخر للشمبانزى ، والثالث جينات لبعض الزواحف والرابعة جينات نباتية،.....،.....الخ.

إننى أتسائل!

من سيكون هذا المخلوق؟!

أهو بشراً؟

أم قرداً؟

أم زاحفاً؟

أم نباتاً؟

إنَّها لعبة جهنمية لايدرك الإنسان خطورتها فى وقته الحاضر، تلك اللعبة الجينية التى يمارسها الإنسان لتشويه خلقته التى فطرها الله عليها، فطرة فيها منفعته وخيره، فطرة سوية مقننة بنظام ثابت لايختل، وماعدا ذلك هو زيادة لمعاناة ذلك الإنسان الذى سيدفع الثمن باهظاً لو استمر فى اجراء هذه التجارب على ذاته.

لقد فكرت كثيراً فى إصرار ذلك الإنسان على إجراء هذه التجارب، رغم علمه باضرارها، ومدى تشويهها للجنس البشرى .... لقد كانت تلك القضية- قضية الإنسان مع ذاته- تمثل بالنسبة لى معادلة صعبة، وأصبحت أسأل ذاتى:-

كيف يحطم الإنسان ذاته؟!

كيف يصر على إجراء هذه التجارب وهو يعلم مدى أضرارها؟!

وبعد رحلة من التفكير العميق، أمسكت بذلك القانون الخالد الذى لايأتيه الباطل لامن يديه ولا من خلفه... القرآن الكريم، ووجدت نفسى أبحث فى هذا البحر الزاخر المليئ بالآيات عن حلٍّ لهذه المعادلة الصعبة... وفجأة وقعت عينى على تلك الآيات الكريمة من سورة النساء(١١٧ ـ ١٢٠) ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾.

عندئذ أيقنت أنَّى وجدت الحل لتلك المعادلة الصعبة... إنَّه تحدَّى الشيطان لبنى آدم وعداوته البيِّنة لهم، وإصراره على غرس الأمانى الوهمية فى نفوسهم، وهذا مانجده فى وسوسته لهم باحداث التغيير فى فطرة الله التى فطرهم عليها، ظانين تحقيق مكاسب من وراء ذلك، لكنه خداع الشيطان وعدائه لهم، وهذا ماسجله القرآن.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾.

إذن فالأمر بين، هى وسوسة شيطانية ينفذها الإنسان بواسطة اللعب فى الجينات وهو غافل عن عاقبة ذلك.

وإننى فى كتابى هذا لأوجه ندائى إلى كلِّ الباحثين فى علم الهندسة الوراثية فى كافة شركات ومعامل الهندسة الوراثية، إلى إستخدام هذا العلم الهام لمنفعة البشرية وخدمتها والبعد عن التجارب الفردية التى تهدف إلى تدمير النظام الحيوى لذلك الإنسان الذى إستخلفه الله على الأرض ليعمرها.